الجزء ١٢ المجلد ٥

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) كانون الاول سنة ١٩٢٥ م الموافق جمادى الاولى سنة ١٣٤٤ هـ

عدوى الاغلاط

« في دواوين اللغة »

في كتب اللغة اوهام كثيرة ، لا يهتدي الباحث اليها الا من بعد ان ينعم النظر في نشوئها وانتقالها وانتشارها من سفر الى سفر ومن مؤلف الى مؤلف .

وقد حاول بعضهم ايضاح معنى تلك الالفاظ المغلقة فلم يرجعوا عنها الا بمارجع به حُنين . ثم جاء من اخذ عنهم ، وهم اولئك الذين يكتفون بنقل الرسم ، من غير ان يعملوا الروية في ما ينسجون وينسخون ، فجاءت كتبهم مشوّهة اقبح تشويه .

ثم جاء لغويو الافرنج ، وهم لا يحفظون من العربية الا الالفاظ الجارية على الالسن والقواعد المألوفة ، فكانت الطامة فوق ما يتصوره العاقل ، لان الافرنجي اذا رأى لفظة غريبة في مألوف حفظه او سمعه ، ادناها من مبانٍ ومعانٍ قريبة الى فهمه فنشأ سوء النقل . ومن كتابه تسري الى غيره ويعمّ الغلط الناس ، وحينئذ لا يمكن الرجوع الى الحق لان الوهم قد تمكن من النفس .

اردت يوماً ان اعرف كيف نقلت « الفرائد الدرية ، في اللغتين العربية والفرنسية[1]

(١) هو معجم وُضع للمدارس للاب بلو اليسوعي وقد طبع مراراً في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت وقد صححه الشيخ ابرهيم اليازجي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

قول العرب: « يَشُونُ الرؤوس » فرأيته يقول : (?) Ecarter les difficultés, dissiper les soucis ومعناه : نحّي المصاعب ، بدّد الهموم . وقال في معنى تشوّن ، (?) Avoir l'esprit vif, léger اي ظرف ، كان خفيف الروح . مع انه يقول في الشَوْنة : Femme sotte اي المرأة الحمقاء . وقد اصاب في هذه الترجمة فقط واخطأ في ماسواها ، فتعجبت من هذا الاعجام . ثم تصفحت فيه عدة مواد فرأيت الغلط فيها يغلب الصحة ، فتأسفت .

فسألتني من اين اتي المؤلف بهذا الغلط في هذه المادة ، وكيف خرج عن مألوف مصطلح العرب وعدل الى هذا الوهم ، فرأيت ان الدآء سرى من صاحب محيط المحيط الذي أفسد لغة عدنان بما حشا كتابه من الاغلاط المتنوعة ودونك ما قال في هذا البحث : شان يشون شوناً : فرج الشؤون اي الهموم . يقال : هو يشون الرؤوس اي يفرج شؤونها اه .

وقوله : فرج الشؤون اي الهموم ، لم يرد في كتاب . انما الرجل بحث عن مؤدى الشؤون فرأى من معانيها انها جمع شأن . والشان الخطب . والخطب ما عظم من الاحوال والامور . فظن ان ذاك من هذا . مع انه لو امعن في البحث عن الشان ، لرأى ان الشؤون في قوله يشونُ الرؤوس اي يفرج شؤون الرؤوس ، مضافة الى الرؤوس . وشأن الرأس في معجمه المحيط : موصل قبائل الرأس وملتقاها . فيكون معنى قوله : يشون الرؤوس : يفتح مواصل قبائلها وملتقياتها . وهو المعنى المنشود . فأين هذا من تأويله الغريب المعقّد المشكل ؟

تركتُ الفرائد الدرية في اللغتين العربية والفرنسية واخذت صنوه الآخر المسمى باسمه لكنه في اللغتين العربية والانكليزية . ويكاد يكون ترجمة الاول حرفاً بحرف اي غلطاً بغلطٍ وسقطةً بسقطةٍ فوجدته يقول: To settle(difficulties) اي ازال المصاعب . وكذلك قال في معنى تشوّن اذ ذكر To be light-witted اي كان خفيف الروح . مع ان المعنى الحقيقي هو : خفّ عقل الرجل بمعنى سخف عقله لا ظرف او كان خفيف الروح . أجل ان خفّ عدة معان . الا ان المطلوب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هنا هو سخافة العقل لا غير . ومن ذلك الشونة التي معناها المرأة الحمقاء . فيكون هذا المعنى من هذا الوادي .

رأيتَ ان محيط المحيط لم يرضني . فخطر ببالي ان استشير اقرب الموارد لاسبر رأيه ، فرأيته يقول : شان الرؤوس ن (اي من باب نصر) يشونها شوناً : فرج شؤونها « كان فينا رجل يشون الرؤوس) يريد يفرج شؤون الرأس ويخرج منها دابةً (هكذا مضبوطة بباء موحدة تحتية مشدَّدة مفتوحة يليها هاء منقوطة منوَّنة بالفتح) تكون على الدماغ ...

فتعجبتُ من هذا التعبير وقلت في نفسي : هل من دابة تكون على الدماغ حتى يتمكن احد الرجال من اخراجها من الرأس او من عدة رؤوس ؟ وهل هي من ذوات الاربع او من ذوات الثنين ؟ وما هو حجمها وكبرها ؟ هل هي كالفيل او كالبعوضة ؟ كل هذه التخيلات وقعتْ في وهمي وانا أحاول الوقوف على حقيقتها . ثم سألتني لِمَ لم يقل دويبة وقال دابة ؟ وهل من الممكن ان تعيش دابة على دماغ الانسان و يبقى مع ذلك حيًا وهي تأكل وتشرب على نفقة الرجل ؟

كثرة هذه الاسئلة وتراكمها على مخيلتي اكرهتني على ان أراجع الأمهات . فنقَّرت عن معنى يشون الرؤوس في التاج ، فاذا به يقول : قال ابن بُزُرج : قال الكلابي [1] : هو يشون الرؤوس اي يفرج شؤونها . و يخرج منها دابة تكون على الدماغ ... » ما وقع بصري على هذه العبارة الا وازددتُ عجبًا . فقلت : لنطلب

(١) الكلابي هو ابو زياد الكلابي ، واسمه يزيد بن عبدالله بن الحر ، اعرابي ، بدوي . قال دعبل : قدم بغداد ايام المهدي الذي بويع له بالخلافة سنة (١٥٨ هـ = ٧٧٥ م) وتوفي سنة (١٦٩ هـ = ٧٨٥ م) حين اصابت الناس المجاعة ، ونزل قطيعة العباس بن محمد ، فأقام بها اربعين سنة ، و بها مات . وكان شاعرًا من بني عامر بن كلاب . وله من الكتب : كتاب النوادر . كتاب الفرق . كتاب الابل . كتاب خلق الانسان . (عن فهرست ابن النديم) .

ان هذا اللغوي على علو كعبه لم يذكره اصحاب المعاجم في تراجمهم . وقد اخذ عنه اعاظم اللغويين .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ضالتنا وننشدها في لسان العرب . فاذا فيه ما يأتي : قال ابن بزرج : قال الكلابي: كان فينا رجل يشون الرؤوس ، يريد يفرج شؤون الرأس ويخرج منها دابة (ولم يضبطها خلافاً لمألوف عمله) تكون على الدماغ ...

فرأيت ان الوهم عام . وقد سرى الى اقرب الموارد من التاج وهذا تلقى الوهم عن لسان العرب . ففكرت ما عسى ان تكون تلك اللفظة على الحقيقة حتى صحفت بصورة « دابة » وليس في الادمغة دواب ولا دويبات ؟ فلا جرم ان الكلابي لم ينطق بها ولا نطق بها من نقلها عنه . انما الخطأ من الناسخ الماسخ الاول .

قلت : لا بد من الاستنجاد بالاوقيانوس لصاحبه عاصم افندي فانه (نفّاث في العقد وحلاّل للمشاكل ، وعبارته تركية لا تدع الى الوهم سبيلا . فاذا به يقول: « الشون عون وزننده ، برآدمك باشنده شان ديديكي چاتي به آچمق معناسنه در كه شارحك بياني اوزره بعض آدمك دماغي اوزره بوجك تحدث ايلمكله اولبابده حاذق كيمسه اولور كه سهولتله دماغك اوزرني كه شان ديدكلر بدر آجوب اول بوجكي بر تقريبله اخراج ايدر . يقال : هو يشون الرؤوس اي يفرج شئونها . انتهى .

فيظهر من هذا النص ان المؤلف نقل الى التركية عبارة التاج وادنى من الفكر امراً محتملاً ، اذ سمى الدابة دويبة (بوجك) وقال : انها تكون على دماغ «بعض» الناس (بعض آدمك دماغي اوزره) ، فقرّب المعنى بعض التقريب من امر يحتمل الوقوع في بعض الخلق ، الا انه لم يهدنا الى الحقيقة المنشودة ، وبقيت مسألة الدابة او الدويبة على الدماغ من الامور الغريبة ، بل من الغوامض التي لا يهتدى اليها بسهولة .

لما رأيت خيبتي في بحثي هذا كله ، قلت : لم يبق لي الا التنقيب عن هذا الحرف في فريتغ ، فلعل الرجل ظفر بالضالة واذا به يقول ما هذا حرفه الافرنجي :

Prudentia sua res hominum animos occupantes et turbantes removit فتذكرت ان صاحب محيط المحيط قال بما قال بعد استهدائه بهدي زميله فريتغ . اما قزميرسكي فقد نقل الى الفرنسية الجلية عبارة استاذه فقال في معجمه ما هذا حرفه :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

Il ouvre les têtes, pour dire: il trouve des expédients, des moyens pour écarter les difficultés qui préoccupent et troublent les esprits,(Se dit d'un homme d'une intelligence supérieure) . ومعنى كلامه : يشون الرؤوس : يفتحها ، اي يجد وسائل وذرائع الى ان يبعد بدهائه كل صعوبة تشغل الافكار او تقلقها (يقال ذلك عن كل رجل بعيد الفكر) اه .

وهذا كله بعيد عما نطق به لغويو العرب ، ولهذا وجب عليّ ان انظر الى اقرب لفظة تصور لي كلمة « دابة » وتفيد معنى الغشآء لان الظاهر من كلام الكلابي ان الرجل الذي عرفه كان يفتح الرؤوس فتحاً يتتبع فيه شؤونها او كما يقول الاطباء دروزها (جمع درز) ثم يستخرج منها ما على الدماغ . وليس على الدماغ الاّ غشآء رقيق يشبه غرقئ البيض . فيكون المعنى انه يخرج هذا الغشآء . لكن رسم حروف « الغشاء » لا تشبه رسم حروف « الدابة » فلا بد من مرادف الغشاء ان يكون ذو المنشود هنا . ومن مرادفاته : السحابة ، والسحاية ، (وهذه من باب قلب الهمزة ياءً) وام الدماغ ، وام الرأس ، والنعامة ، وكلها لا يوافق رسمها رسم « الدابة » . فهي ليست بها . وما كدت اصل الى هذه اللفظة الا وانتبهت ان اقرب لفظة الى الدابة هي « الدواية » وهي على ما في اللسان : « جليدة رقيقة تعلو اللبن والمرق » . وقال اللحياني : دواية اللبن والهريسة وهو الذي يغلظ عليه اذا ضربته الريح فيصير مثل غرقئ البيض . وقد دوّى اللبن والمرق تدوية : صارت على دواية اي قشرة . انتهى المقصود من ايراده . فلا جرم ان اصل قولهم : يخرج منها دابة تكون على الدماغ هو يخرج منها دُوايةً (اي قشرةً) تكون على الدماغ .

فهذا اقرب لفظ الى الاصل وأوجه وجه نحترم فيه اقوال السلف وما نقل عنهم ، وبه يُحَلّ كل معضل في ذلك الكلام الذي تظهر عليه مسحة الغرابة ، بل مسحة الخرافة .

اما صورة انتقال الدواية الى الدابة فهي ان الاقدمين ما كانوا ينقطون الالفاظ فكتبت (الدوا) فظن الناسخ ان زلق من قلم الكاتب الاول واو زائدة ثم قربها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من كلمة مألونة في الكلام والسمع فظنها (دابة) وهكذا سارت سيرها في جميع المؤلفات والمصنفات ، لكن اغلب القراء لم يفهموا العبارة ، مع ان معناها واضح : اي ان الرجل المذكور كان عارفاً بفتح الرؤوس من النظر الى شؤونها او دروزها واخراج ما على ادمغتها من السحاءة او الدوابة ، إمعاناً في القسوة وصلابة القلب .

على ان بعض علماء اللغة من الاغراب عرفوا معنى الشَوْن لكنهم وهموا في ذكر الوزن ، اذ ظنوا انهم من التفعيل فقالوا التشوين مع ان السلف صرح بانه من باب المجرد لا من باب المزيد . فقد قال صاحب منتهى الارب في لغة العرب ، وهو معجم عربي فارسي مطول لمؤلفه عبد الرحيم بن عبد الكريم الصفي فوري الهندي وقد طبع كتابه مراراً في الهند وفي ديار ايران : « تشوين : جدا ومتفرقيمودن ووا كردن ، يقال : هو يشوّن الرؤوس اى يفرج شؤونها » اه . ومعنى العبارة الفارسية : التشوين هو التفريج والتفريق والفتح .... ومثل هذه العبارة ورد في المعجم المسمى « القادوس في شرح القاموس » . وهو كتاب طبع في ايران بعناية المولوي اوحد الدين ابن القاضي علي البلجرامي في سنة ١٢٧٧ هجرية وقد خطه (لانه مطبوع على الحجر) محمد تقي الكليكاني بتاريخ شهر جمادى الآخرة من السنة المذكورة . ولقد وجدت مراراً بين مؤلفي الانكليز فرنسيس جونصن افهم الافرنج لكلام العرب ، فله ديوان لغات سماه :

A Dictionary, Persian, Arabic. and English وقد غلط الغلط المذكور ، اي انه ذكر الشون من باب التفعيل فقال في (ص٣٤٤) من الطبعة الاولى من كتابه في سنة ١٨٠٢ ، ماهذا نصه : التشوين (لفظة عربية A cleaving (of skulls) اي فتح او تفريج الجماجم [1] اه .

اما سائر اللغويين من عرب وعجم فانهم اخطأوا في فهم العبارة الاصلية المنقولة عن الكلابي ، وليس هو الوحيد من جنسه .

---

(١) اما الانكليزي أ . و . لين E. W. Lane فانه لم يتعرض لهذه المادة في معجمه العربي الانكليزي الذي اسماه « مدّ القاموس » مع حجمه العظيم ومجلداته الثمانية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ان مثل هذا الغلط في دواوين اللغة كثير، الا اننا لا نريد ان نكثر منه ههنا، لان كل كلمة منها تتطلب شرحاً دقيقاً، وبحثاً طويلاً، ليطلع القاريء على ما فيها من الصعوبة والاعضال والاسرار، ولهذا نرجيء الكلام عليها الى فرصة أخرى.

محقق